سيمياء اللون في شعر بشار بن برد

بحث تم تحكيمه ، بعد عرضه ومناقشته في مؤتمر
(العلوم الإنسانية والتنمية المستدامة واستشراف المستقبل)
كلية الآداب – جامعة دمنهور
٢٨ – ٢٩ سبتمبر ٢٠١٩م

الدكتور / سعيد هادي سعد القحطاني
جامعة أم القرى
الكلية الجامعية بالليث – قسم النحو والصرف
منطقة مكة المكرمة

عدد ٥٤ يناير ٢٠٢٠ م

(الملخص)

تناول الباحث مصطلح السيمياء الذي يعنى بدراسة اللإشارات التي اتسمت بها القصيدة , ومدى تأثر الشعر العربي بهذا المصطلح حيث نقوم بدراسة إجرائية تتمركز حول التناول السيميائي للاشتغال اللوني , حيث يعد اللون مدركاً بصرياً يداعب عيني المرء إذا كان لوناً يستخدم بشكل عادي , لكن اللون يداعب البصر أضعافاً مضاعفة , إذا منح لشيء لا يعرفه به , ومن هنا فإن الإدراك اللوني في سياق النسيج الشعري يغدو شيئاً مهماً , وخاصة أن ثمة علاقة واضحة بين الشعر واللون , وهي علاقة تقوم على رسم عوالم وتزيينها بألوان متعددة , فإن اللون لا يصبح في النص الشعري ذا مدلول عادي , وإنما يتنزل في النص الشعري ليصبح دالاً أو علامة شيء أخر , وإذا كانت السيمياء تركز بشكل محوري على العلامة بغض النظر عنها سواء أكانت لغوية أو رمزاً أو مؤشراً أو أيقونة , فإن اللون في هذا الإطار لا يمكن أن يكون علامة لغوية فحسب , وإنما يغدو في بعض الأحيان علامة أيقونية والإشارات التي ارتكز عليها الشاعر في شعره كسيمياء الألوان التي تجلت عند شاعرنا بشار ابن برد بالرغم من أنه لم يرى أي منها حيث ولد (أكمة) , فالسيمياء من الأصباغ التي لها حضورها وخاصة الصبغة اللونية في الوصف الدقيق والذي يدل على نسق التعويض عن البصر الذي انعكس على الشاعر الأعمى . وقد تطرقنا للألوان التي تجلت عند شاعرنا ابتدأً باللونين الأبيض والأسود وعلاقتهما بالعمي , ثم الأحمر , والأصفر , والأزرق , وعلاقتها بما يدور في أعماق الشاعر من إشارات وعلامات خفية تستر الشاعر باللون دونها , فما كان من اللون وطرق استخدامه بصورة فنية إلا أن استخراج ذلك المكنون .

The researcher reviewed the term semiology, which is concerned about studying the signs that characterized the poem, and the extent to which Arabic poetry is affected by this term where we do a procedural study centered on semiotics of chromatography, color is a visual perception that caresses one's eyes if it is a color used normally, but the color flirts with sight if given to something that is not known by, thus, color perception in the context of poetry becomes important, especially there is a clear relationship between poetry and color, It is a relationship based on drawing worlds and decorating them in multiple colors, the color in the poetic text does not become a normal meaning, rather, it descends into the poetic text to become a sign or something else, if semiotics focuses on the mark regardless of whether it is linguistic or symbol or indicator or icon, the color in this frame can not only be a linguistic sign, but sometimes it becomes an iconic sign and the signals upon which the poet was based in his poetry as the Semiotic color that was manifested by our poet Bashar Bin Bard, although he did not see any of them where he was born, Semiotics have their presence, especially the color pigment in the precise description, which shows the format of compensation for the vision reflected on the blind poet. We reviewed the colors that were manifested by our poet, starting in black and white and their relationship to blindness, then red, yellow, and blue, and its relationship to what is going on in the depths of the poet about signals and hidden signs that cover the poet. Color and ways of using it technically extracts the hidden.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى أله وصحبه وسلم

بسم الله بادئ كل ذي خير يتطرق الباحث في هذا البحث بجزء تألق به شاعر ضرير ألا وهو بشار بن برد والذي سوف يدرس دراسة سيميائية تحليلية أو كما يسمونها الأوروبيون " السيميولوجيا semiologie "[١] فلسيمياء نصيب كبير في شعر بشار بن برد بالرغم من أنه شاعر أعمى البصر (أكمة), إلا أنه نير البصيرة للحياة , والطبيعة وكل ما حوله وإن لم يرها وإنما تخيلها فأجاد وصفها بأبيات شعرية تكاد تكتب بماء الذهب , وقد صورها فأبدع في تصويرها , تصويراً يعجز عنه المبصرون .

فحينما نبحث عن التعريب لمنهج السيميولوجيا semiologie نجد أهل المغرب العربي قد أسموه بعدة أسماء قريبة من الترجمة وتصب في مصبها فأسموه بـ" السيمياء " [٢] ,والسيميولوجيا تعني : "[٣]دراسة العلامات والسيرورات التأويلية " وبذلك نجد جميع اللأنساق الدالة بسمة معينة كالألوان ,والأشكال , والصور , والإشارات , تصلح أن تكون موضوعات للسيمياء والتي ويقول الباحث معجب الزهراني عنها "السمة , والتسمية , والوسام , والوسم , والميسم , والسيماء , والسيمياء "[٤]. وبذلك يمكننا القول وبالمختصر أن السيمياء تعنى بدراسة اللإشارات التي اتسمت بها القصيدة .

وسوف نتطرق في هذا البحث بدراسة إجرائية تتمركز حول التناول السيميائي للاشتغال اللوني , " حيث اللون يعد مدركاً بصرياً يداعب عيني المرء

---

١ - سعيد علوش ,معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة , لبنان - بيروت : دار الكتاب اللبناني , ط ١ , ١٩٨٥م . ص١٢٣

٢ - ميجان الرويلي و سعد البازعي , دليل الناقد الأدبي , المغرب - الدار البيضاء , المركز الثقافي العربي , ط ٤ , ص١٧٧

٣ - يوسف وغليسي , إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد , الجزائر , الدار العربية للعلوم ناشرون ,ط ١ , عام ٢٠٠٨م , ص ٢٢٨- ٢٢٨ .

٤ - معجب الزهراني , في المقاربات السيميائية – علامات في النقد , مج ١ , ع ٢ , ديسمبر ١٩٩١م , ص١٤٣-١٦٣ .

إذا كان لوناً يستخدم بشكل عادي , لكن اللون يداعب البصر أضعافاً مضاعفة , إذا منح لشيء لا يعرفه به , ومن هنا فإن الإدراك اللوني في سياق النسيج الشعري يغدو شيئاً مهماً , وخاصة أن ثمة علاقة واضحة بين الشعر واللون , وهي علاقة تقوم على رسم عوالم وتزييينها بألوان متعددة , فإن اللون لا يصبح في النص الشعري ذا مدلول عادي , وإنما يتنزل في النص الشعري ليصبح دالاً أو علامة شيء أخر , وإذا كانت السيمياء تركز بشكل محوري على العلامة بغض النظر عنها سواء أكانت لغوية أو رمزاً أو مؤشراً أو أيقونة , فإن اللون في هذا الإطار لا يمكن أن يكون علامة لغوية فحسب , وإنما يغدو في بعض الأحيان علامة أيقونية " [1]والإشارات التي ارتكز عليها الشاعر في شعره كسيمياء الألوان التي تجلت عند الشاعر بالرغم أنه لم يرى أي منها , وسيمياء في من الأصباغ الذي لها حضورها وخاصة الصبغة اللونية في الوصف الدقيق والذي يدل على نسق التعويض عن البصر الذي انعكس على الشاعر الأعمى .

وسوف نحاول أن نقارب اللون في دلالاته السيميائية على أنه علامة قوية تولد دلالات جديدة تتجاوز الدلالات المعهودة والمعروفة ترسل من شاعر أعمى لا يراها ويستقبلها مبصر عاجز عن إرسالها بالشكل الذي وصلت به إليه .

[1] - ربابعة , موسى , آليات التأويل السيميائي , ط١ , آفاق للنشر والتوزيع , الكويت عام ٢٠١١م , ص٨٥ .

❖ سيمياء اللون في شعر بشار وصراعهما :

يعد اللون أنه من أنواع التمييز البصري للمبصر لكنه عند شاعرنا غير ذلك , فله أبعاد عميقة يشير إليها, فليس بغريب أن يشكل اللون علامة سيميائية قادرة علة توليد دلالات مفتوحة لا حصر لها في سياق النص الشعري , علماً بأن الألوان عند العرب تختلف أسماؤها باختلاف المشار إليه فالإنسان على سبيل المثال يختلف عن بقيت الحيوانات في تحديد لونه عنها [١] , وألون يدل على تغير الهيئة والصورة , فهو لون البشرة الخارجي والذي يظهر للعيان [٢] , وهناك فرق بين من ولد وهو يبصر ثم اصيب بالعمى (كفيف) فهذا قد ادرك التمييز بين الألوان وخاصة اذا تجاوز عمره الخامسة , وفرق بين من ولد كأكمة لا يبصر إلا بخيالة الواسع ويداعب به المجتمع الذي من حوله فهذا هو شاعرنا بشار بن برد , فما عليه إلا أن يقوم باستعارة ذلك الخيال عبر الحدس الفذ , وإنا كان اللون الابيض والأسود هما اللذان يتصارعان داخل الشاعر العمى أثناء حرب الظلام والنور , واللون ذات علاقة قوية بالشعر فهو دلالة على تداخل الفنون وترابطها مما يعني أن حضور اللون في الشعر يستطيع أن يجسد الترابط الوثيق بين الشعر والرسم , إلا أن شاعرنا بشار قد خرج من دائرة هذا الصراع لبقية الألوان ليتحدى بها المبصرون , ولعل الأعمى يستفيد من المحيط الذي يعيش فيه فيستنبط من بعض الألفاظ صوراً خاصة توحي إليه بخاصية اللون مثل قول المصر " الشمس مشرقة , نور الصباح , ضوء الضحى , إشراقة الفجر , الليل الداجي , سواد الليل , خضرة الربيع , الدم الأحمر , الثلج الأبيض , وما لى ذلك فمنها ما يقرنها في الخيال بأحاسيسه السمعية , ومنها ما تبقى في خياله معاني مجردة , وبعضها تقف على لسانه ألفاظاً لا يحمل لها أي معنى " [٣] .انظر الى قول بشار في الغزل :

---

[١] - خليفة , " الألوان في معجم العربية " , مجلة مجمع اللغة العربية الأردني , السنة ١١ تموز , - كانون أول لعام ١٩٨٧ / عدد٤٤ , ص ٣٦ – ٣٧ .

[٢] - ابن منظور , لسان العرب , مادة " لون " .

[٣] - السقطي , رسمية , أثر كف البصر على الصورة عند المعري , مطبعة أسعد , بغداد ,

هي كالشَّمْسِ في الجَلاَءِ وكالبَد ... رِ إذا قُنِّعَتْ عليـها الرِّداءُ
فخْمَةٌ فَعْمَةٌ بَرُودُ الثَّنـــايَا ... صعلةُ الجيدِ غادةٌ
وثقالُ الأوصالِ سربلها الحُسْـــــنُ بياضاً، والرَّوْقةُ البيْضاءُ
زانها مُسْفِرٌ وثغْرٌ نقِي ... مثلُ درِّ النِّظام فيهِ استواءُ
وقوامٌ يعْلُو القوام ونحْرٌ ... طَاب رُمَّانُهُ عليْهِ الأَياء
ووبنانٌ يا ويحه من بنان ... كنبات (سقاه) جـمٌ رواء
ولها وارد الغدائر كالكر ... م سواداً قد حان منه انتهاء [1]

❖ **سيمياء اللون الأبيض وأسود :**

لم يذهب شاعرنا بشار بعيداً عن حربه الداخلية وهي صراع الأبيض والأسود فيصف المرأة بالشمس من شدة بياضها (في الجلاء) ويعود الى الضد في وصف شعرها المسترسل الأسود (كالكرم سواداً) أي العنب الأسود , ويصف الأوصال من الجسم (الحسن بيَاضاً) , و (الروقة البيضاء) ؛ اذن مازال هناك صراع الألوان يتمحور , وباتت سيمياء اللون تتوهج وتظهر عند بشار وكان اللون الأبيض والأسود يتصدرها إلا أن بقيت الألوان تحضر باستحياء فهاهو يتطرق النبات الأخضر في وصف البنان ويصفه بأنه ليس أي نبات بل نبات مخضر وقد ارتوى بالماء (الجم) الكثير ,فكيف سيكون النبات المرتوي لونه وشكله ؟! , يتطرق الشاعر للون الأحمر ويبين ما يتميز به هذا اللون ويورده في مكانه فهذا اللون الاحر الذي يجسد علامة سيميائية لها دلالات بعيدة تجعل الشاعر يتكئ عليها ليحاكي المجتمع بأنه لا يختلف عنهم بشيء حتى الألوان التي يستخدمها قد استخدمها في مكانها وبدقة فهنا جمال اللون الأحمر وهناك أعين لونها أحمر من كثرة البكاء , وهناك لون للزنجي الغير مرغوب فيه أو الذي لا يصلح ولا يفلح , وقد تعمد الشاعر ذلك لما يراه من تهكم وسخرية عليه في المجتمع فيتوعدهم كما قال :

عام ١٩٦٨م ص ١٢٣ .
[1] - بشار . الديوان , جمعه وشرحه وكمله وعلق عليه الشيخ (محمد الطاهر ابن عاشور) دار النشر الشركة التونسية للتوزيع , تونس, عام ١٩٧٦م ,ج ١ ص ١٤٢- ١٤٤ .

وعيَّرني الأَعداءُ والعَيبُ فِيهمُ ولَيْسَ بعارِ أنْ يُقال ضَريرُ
إذا أبصرَ المرءُ المرُوءَة والتُّقى فإنَّ عَمَى العينينِ ليس يَضيرُ
رأيتُ العمَى أَجراً وذُخْراً وعِصمَةً وإنّي إلى تِلكَ الثلاثُ فقيرُ [١] .

وقد بلغ تكرار اللونين الأبيض و الاسود في شعر بشار ما يقارب المئة والحي عشر مرة [٢].

❖ **سيمياء اللون الأحمر :**

وإذا دخلْنـــا فادْخُـــلي في الحُمْر إنَّ الحُسْن أَحْمَر [٣]
ما زال بي سَنَنُ الصِّبا وَبِحَاجتِي حَتَّى أتَيْتكِ والعُيونُ حُمُورُ [٤]
فلا تشر الزنجي إنك مفــلح بأحمر الزنجي عنك عتاد [٥]
فرمت خلف الستور لأفوا هـ المنايا من بين حمرِ وسودِ [٦]
مُوفٍ عَلَى حَوْذانهِ كالنَّقدِ من زاهر أحمر لمْ يسودَّ [٧]

عاد الشاعر وهو يصف الحديث { الصوت } ويكسوه بالألوان ويدبجه ويزخرفه بالخيال الواسع , " فقد تشكل في بعض الأحيان لوحات شعرية قوامها اللون , وهذه اللوحات واضحة ويتعين على المرء أن يقرأها مستعيناً بالإدراك البصري ... فإن الألوان تسهم في تأليف لوحة تشكيلية تبرز مدى التشارك بين فن الشعر وفن الرسم "[٨] , فيعد السمع لدى العميان هو المعيار الذي يقاس به الخيال الواسع والدقيق تلاعب بالألفاظ , وقد اشار بعض من الدارسين إلى "أن حاسة السمع أكثر أهمية من حاسة البصر فهي تستغل ليلاً ونهاراً وفي الظلام والوفي النور في حين أن المرئيات لا يمكن إدراكها إلا في النور , والإنسان

---

١ - المصدر السابق ج ٤ , ص ٦٥ .
٢ - الفيفي , عبدالله , الصورة البصرية في شعر العميان , النادي الأدبي بالرياض , ط١ , ١٤٧١هـ , ص ١١ .
٣ - المصدر السابق ج٤ , ص ٧٥ .
٤ - المصدر السابق ج٣, ص١٥٠ .
٥ - المصدر السابق ج ٣ , ص١٠٣.
٦ - المصدر السابق ج ٢ , ص ١٩٠ .
٧ - المرجع السابق ج ٢ , ص ١٦٤ .
٨ - ربابعة , موسى , ص ١٢٠ .

يستطيع أن يدرك عن طريق الكلام أفكاراً أرقى وأسمى مما قد يدركه بالنظر الذي مهما عبر فتعبيره محدود المعاني غامضها " [١] .

فيقول :

وحديثٌ كأنَّهُ قِطَعُ الرَّو ضِ زَهَتْهُ الصَّفْرَاء والحَمْرَاء [٢]

وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا [٣]

وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا [٤]

يقول بشار في ذلك :

عَجَبت فطْمةُ مِنْ نَعتي لَهَا هَلْ يُجِيدُ النعتَ مَكفُوفُ البَصَرْ [٥]

أليس هو القائل :

ياقوم أذْنِي لبَعْض الحيّ عاشقةٌ والأُذن تَعْشَقُ قبْل العَيْن أحْيَانَا

قالوا بِمن لا تَرى تَهْذِي فقُلْتُ لَهُمْ الأُذنُ كالعَيْن تُؤْتِي القَلْبَ ما كَانَا [٦]

وسيمياء اللون الذي امعن به وصف المرأة , وقد كرر لفظة (الشمس) في شعره فهي الضال الذي لم يجده وهو يتحسسه من يمينه وشماله يتوق للها عندما تشع في وجهه ولا يراها فتكون هي إشراقة الحياة له ؛

يقول :

عنْ يمِيني وعنْ يَسارِي وقدَّا مِي وخَلفِي الهَوى فَكيْف أَفِرَّ [٧]

, وهي الحسناء الجميلة وهي المستقبل المفقود انظر هذا البيت الذي نستوحي منه الغزل المتقن في ظاهرة إلا أنه إشارة للحياة المفقودة تكمن بداخله وأن

---

[١] - أنيس , إبراهيم , الأصوات اللغوية . مكتبة نهضة مصر . القاهرة . ط ٤ , ١٩٥٠م . ص١٥ .

[٢] - ديوان بشار , ج ١ص ١٤٤ .زهته ": حسنته وزينته الأوار الصفراء والحمراء , والصفراء : النرجس , والحمراء : الشقائق .

[٣] - المصدر السابق ج٤ ص ٦٩ ..

[٤] - المصدر السابق ج٤ , ص ٧٠

[٥] - ديوان بشار ج ٤ ص٨٢ . فطمة : اسم جارية مغنية .

[٦] - المصدر السابق , ج ٤ , ص٢٢٨ .

[٧] ديوان بشار ج ٤ , ص٨٨ . أخده من قوله تعالى " ثم لآتينهم من بين أيديهم ...." الاية .

صفاء الحياة , يحتاج للسواد حتى يزنه ويجعله في كفة التعادل وكما أنه أشار للشمس وبياضها إلا أنه لم يغفل الليل وشبهه باللعين وسوادها وللشعر كذلك .

يقول بشار :

حوراءُ لو وَهَبَ الإلـهُ لنا منها الصفاءَ لحلَّ ما وَهَبا [1]

كالشَّمس إن بَرَقَّت مَجَاسدها تَحكي لنَا الياقُوت والذَّهبا [2] .

ويقول :

برقتْ لي حتى إذا قلتُ جادت أقلعت عن جهامةٍ لا تدرُّ [3]

لا تزال سيمياء الصفاء مقترنة بشعر بشار والبحث عن لون مغاير للأسود , وكأنه يتحدى المتجمع من حولة في وصفة المرأة وشدة تركيز صفائها الذي لو وزعه الإله لكفى ووفى الجميع , وانظر كذلك لسيمياء الجسد واختيار البريق لها لم يختر أي لفظة اخرى كما يفعل المبصر بل اختار البرقان ؛ والبرقان أشد في الانتباه والانجذاب من غيره من الألوان ' وخاصة المبصر عندما يبرق في عينه أي انعكاس , فجعل هذه المرأة كأنها زجاجة تشع نورا, فأي تصور بديع عند رجل أعمى , فلا شك أنها إشارات يرسلها للمبصر الذي يتهكم ويسخر من قدراته .

أنظره يقول :

بَيْضاءُ يَنْدَى خَدُّهَا وَجَبِيْنُها مِنَ المِسْكِ فَوْقَ المِجْمرُ المُتَأَجِّجُ [4]

عاد الشاعر هنا للبياض ولكن بوصف أخر وحاسة أخرى ألا وهي حاسة الشم , التي اوحت للشاعر عن صفات المرأة وعن اشارة اللون لهذه المرأة فالتي هذه رائحتها فهي بيضاء (ورمزية البياض عند الاعمى هي لسمو والمبتغى المفقود) ,وتطرق للريحان والورد .

يقول :

---

[1] -ديوان بشار , ج ١ ص ٢٠١ .كتيت " لحل " والصواب " لجل " بالجيم .

[2] - المرجع السابق , ج١ ص ٢٠١.

[3] - المرجع السابق ج٤ , ص ٨٩ . الجهامة : السحابة الخالية من المطر .

[4] - المرجع السابق ج٢ , ص ٦٠ .

حَسِبْتُها فِضَّة بَيْضَاءَ فِي ذَهَبِ يَا حُسْنَهَا فِضَّةً فِي ذَهبِ جَار [١]

لقد باتت الألوان تضع بصماتها على شعر بشار حسن بياض الفضة وامتزاجها بالذهب في الشطر الاول فكانت لوحة فنية ذات مدلولين داخلي وخارجي فالذهب دلالة الى معدن الأصالة لهذه المرأة وخارجياً الى بياض هذه المرأة الذي يشابه بياض الفضة.

وما إن حاول الشاعر الوصول الى الإشراق إلا أنا السواد لا يفارقه وبقي الشاعر يصارع ذلك السواد بانتظار الصباح يقول :

تقلب في داج كأن سواده إذا انجاب موصول إليه سواد [٢]

فلا يكاد الليل ينقطع عنه إلا وهو موصول بليل فبقيت إشارات الليل الأسود طويلة لا تنقطع وكأنه يحاكي لنا بهذه الألوان حياة الضرير الذي لافرق عنده بين الليل والنهار ويشير بهذا اللون كذلك الى حياة المحب الهيمان فهذه هي انعكاسات اللون على القصيدة " فإدراك اللون إدارك ثقافي , فكل شعب وكل مجموعة بشرية تسند قيماً ودلالات للألوان التي تعبر من خلالها عن حالة الفرح والحزن وعن حالة السعادة والتعاسة , وعن حالة الغنى والفقر وعن البرودة والحرارة لذلك لايمكن الحديث عن خطاب كوني موحد حول الألوان " [٣].

يقول بشار :

لا تسبقي بي حِمَام الموتِ وانْتَظِرِي يوماً كَأَنْ قَدْ طَوتْني البيضُ والسودُ [٤]

أشار الى الكفن والقبر بالالوان عند قال " طوتني البيض والسود "

وقال في وصف الموت :

وتلومانني وقد نزل الموت أسودا[٥]

آمل العيش تارةً وأرى الموت أسودا [١]

---

[١] - المرجع السابق , ج٣ , ص١٥٢ .

[٢] - ديوان بشار , ج٣ , ص ١٢٧ .

[٣] - بنكراد , سعيد , السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها , دار الحوار , اللاذقية سوريا , ط٢ , ٢٠٠٥م , ص ١٤٩ .

[٤] - ديوان بشار بن برد , ج٢ , ص١٨٧ .حمام الموت : بكسر الخاء أي القضاء بالموت . " البيض والسود " : الكفن والقبر .

[٥] - المرجع السابق ج٢, ص ١٥٢ .

حتى في تطرقه للموت والأكفان كان الألوان هي الواصف المسيطر وهذه طبيعة العقد النفسية التي يعاني منها الشاعر بسبب العمى ويحاول ان يعرض باستخدام الألوان حيث هي الهاجس الشاغل له وكان يبدع في صياغتها بالقصيدة حتى يظهر للملأ انه لا يأبه لعدم رؤيتها وأنها شيء بسيط بالنسبة له , وهذا بعكس ما بداخله فلم يعي إلى أننا قد لاحظنا هذا الاسراف اللوني في قصائده وغلبة لوني الابيض والأسود على بقيت الألوان .

❖ سيمياء اللون الأصفر :

وصَفْرَاوَيْنِ منْ بَقَــرِ وَرَاح أَصَبْــتُهُمَا ومَا حَسُنَ السَّوَادُ[٢]
بيْضَاءُ صَفْرَاءُ قُضَــــافِيَّةٌ ما نَالَهَا برٌّ وَلاَ حَـــــــانِثُ[٣]
وأَصْفَرَ مثْلِ الزَّعْفَرَان شرِبْتُهُ عَلى صَوْتِ صَفَراءِ التَّرائبِ رُودِ [٤]
أَصفْراءُ كَان الودُّ منكِ مُباحا لياليَ كان الهَجْرُ منكِ قُرَاحا [٥]
فَإِنْ تَاكُ قدْ شَطَّت بصَفْرَاء نِيَّةٌ وأَصْبَحَ مَوْلاَهَا مُصيخاً عَلَى حِقْدِ [٦]

ويقصد بذلك البقر الوحشي الذي يشبه به المرأة فاختار اللون الأصفر وهو أميزها في البقر الوحشي ويفضله على اللون الأسود فيقول " وما حسن السواد " اذن هو يشير إلا أن جمال هذه المرأة مقترن باللون الأصفر الذي هو مفتون به , وليس الأسود الذي لا يستحسن ليشير إلى من حوله بأنه يفتن بالألوان مثلهم , فالدلالة اللونية هنا لا يمكن أن تعني مجرد اللون فحسب , ولكن اللون بتحول إلى مدرك حسي , ويحاول الشاعر أن ينثر ظلاله في سياق نصه .

---

[١] - المرجع السابق . ج ٢ . ص١٤٥ .
[٢] - المرجع السابق . ج ٣ , ص ٥٣ .البقر : هو البقر الوحشي .
[٣] المرجع السابق ج ٢, ص ٤٦ . قضافية : بكسر القاف نسبة إلى قضاف جمع قضيفة , والقضيفة الجارية الممشوقة القد النحيفة , البر والحانث : صانع البر , وصانع الحنث . وهي صفات الناس .
[٤] - المرجع السابق . ج ٢ , ص ١١٧ .
[٥] المرجع السابق , ج٤ , ص ٤٢ .
[٦] - المرجع السابق ج ٣ , ص ١٢٣ .

ويتلاعب الشاعر بقدرته الشعرية بالألوان وكأنه يرها ويدركها فيتغزل في المرأة ويقول " بيضاء صفراء " وهذا المزيج نادر لا يتقنه أي شاعر أعمى , وهذا اللون عند العرب نادر , وقد أوردها الشاعر على وزن فعلاء , لتحدى بقوته اللغوية والتصويرية من يهزأ ويتهكم به , فهذه الدلالات اللونية حملت في طياتها بعداً دلالياً عجيباً .

ويعود مرة أخرى ليتغزل بمحبوبته ذات اللون الأصفر ويأتي بلفظة صفراء في كلا الشطرين مع اختلاف معناهما فالأول صفة للمشروب الذي شربه , والثاني صفة لون محبوبته التي يتغزل بها , نلاحظ أن هناك تكرار للكلمة ولكن ليس لمعناها , والمقابلة من بين لون المشروب ولون المحبوب , وهذا التكرار مرتين يشي بأسلوب غير مباشر بالإشراقات الجديدة التي تحمل معها علامات الأمل والتفاؤل فقد امتلك اللون الأصفر مدلولاً خاصاً لوصف النساء لدى الشاعر .

ثُمَّ رَاقَتْ باللَّونِ والْعَيْنِ حَتَّى كَادَ حُبِّي يَطِيرُ بِي عَنْ وِسَادِي [1]

انظر كيف يتعمد الشاعر الإشارة إلى أهمية اللون الذي يوحي إلى أبعاد رمزية يقصدها الشاعر فيخرج بعيداً عن الفضاء العادي إلى مدلول لوني يميز هذه المرأة , وأي لون تميزت به , فنظرت الروقان تختلف عن غيرها , وبذلك يوصل لنا الشاعر الأعمى إلى أنه قد وصل إلى درجات عميقة في تصنيف النظر والبعد اللوني الذي لا يدركه كل ناظر , مما لاشك فيه بأن بين أيدينا شاعر ذكي ومبدع , فياجمال تلك اللوحات اللونية التي رسمها لنا والتي تحمل في طياتها سيموطيقيا عجيبة لا يتقنها حتى من هو يبصر ويدرك الألوان .

ولذلك لابد من ربط الألوان بالحالة النفسية لأنها تؤثر فينا بشكل ملموس .[2]

---

[1] - المرجع السابق ج٢ , ص ١٣٠ . راقت : أعجبت الرائي . بسبب لونها .

[2] - طالو , محي الدين , الرسم واللون , مكتبة القدس , دمشق , ١٩٦١ م , ص ١٦٥ .

❖ **سيمياء اللون الأزرق :**

أخُو صيغة زُرْقٍ وصفْراءَ سمْحةٍ يُجَذِبُها مُسْتَحْصِدٌ وتُجَاذِبُهْ [1]

تَراخَتْ في النَّعِيم فَلَم تَنَلْهَا حَوَاسِدُ أعْيُنِ الزُّرْقِ القِبَاح [2]

وللبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود [3]

وهو يصف الرماح باللون الأرزق وهذا العلامة اللونية ذات بعد دلالي لوصف القوة والشدة للسلاح ولم تكن الاعين الزرق علامات جمال عند العرب , بل كانت رمز للشر والخداع والعداوة ويصف أعين الزرق القباح " أي الحاسدة المعادية , ويصفها مرة أخرى لتكون من علامات البخيل للتشنيع بصفاته أشنع الصور , فقد شبه معاذير البخيل التي يتعذر بها عندما يطلب من المال وبأن هذه المعاذير ذات أعين زرقاء أي غدارة وتحمل الشر في طياتها وهي على سبيل الاستعارة المكنية , كما انها فيها نوع من التجسيم فجعل (العلل) لها أعين ولونها أزرق ووجهها أسود , وبذلك تكون ذات بعد دلالياً عميقاً , فجمع ألوان القبح والشناعة في لوحة واحدة استخدم فيها الألوان استخداماً حسياً يشير وصف مذموم .

---

[1] - ديوان بسار , ج ١, ص ٣٣٢ , أخو صيغة : أي الصياد صاحب السهام الزرق . السمحة : القوس المواتية للرمي . المستحصد : المحجكم الشديد القوي , أي الوتر المشدود .

[2] - المرجع السابق ج ٢ , ص٨٤ . والزرق : هم الذين جلود وجوههم زرقاء قال تعالى " ونحشر المجرمين يومئذ زرقا "

[3] - المرجع السابق ج ٣ , ص ١٢١ .

❖ **إحصاءات الألوان عند بشار[1]:**

الأبيض	الأسود	المائي	حمرة	صفرة	غبرة	ذهبي	أشهب	رمادي	زرقة	وردي	بنفسج
٧٢	٣٩	٢٩	٢٨	١٥	٨	٣	٢	١	١	١	١

علماً بأن اللون الأشهب لم يرد عند أي من الشعراء العميان سوى عند بشار بن برد [2]. وانفراد الشاعر بهذه الخاصية عن بقية الشعراء العميان إشارة على تميز بشار بن برد عن بقية الشعراء ودلالة على حرصه على الظهور بعلامة فارقة يثبت فيها بأن العمى ليس عائقاً له عن أدق التفاصيل البصرية .

[1]- الفيفي , عبدالله , الصورة البصرية في شعر العميان , ص ١١ .
[2] - المرجع السابق ص١١

الخاتمة

بقيت قراءة اللون عند الشعراء العميان تسعى بشكل أساسي إلى تناول الصور اللونية وجمالية اللون عبر السياق , اذ تنبع أهمية اللون في الشعر عامة وفي العميان خاصة من كونه يشكل جزءً أساسياً من نسيج اللنص الشعري " فاللون على الرغم من أنه عنصر أقرب ما يكون إلى علم الرسم , فإنه يمتلك فاعلية بصرية تخاطب الوجدان والشعور , وهو بهذا يتحول إلى مؤشر أو دال حين يوضع ضمن سياق لغوي , ولذلك فإنه يمتلك دلالة في إطار بناء الجملة الشعرية " [١] .

إلا أنا شاعرنا بشار كان يصبوا إلى إثبات غير متوقع, أو يحاول كسر التوقع لمن يظن بأنه ضيق الأفق بسبب إعاقته , فتحدى المبصرون في رسم الصورة الفنية في القصيدة , بالرغم من جدود مغانم كثير في شعر بشار إلا أننا , ركزنا على الإشارات اللونية المميزة التي أتقن الشاعر استخدامها في شعره , وقد يحتاج الى دراسة أعمق لتكتمل الصور الإبداعية لهذا الشاعر الضرير , استخدم فيما سبق ألوان فاقعة اللون وألوان بينهما ليثبت أن الصياغة الأدبية لا علاقة لها بالإبصار الحقيقي , وأثبت أن هناك إبصار مغاير ألا وهو إبصار القلب , وحبكة الصناعة اللونية الذي تمييز به خير دليل على ذلك, ولا شك أن صراع اللون الأبيض والأسود كانا هما المتجليان في معركة الألوان عند بشار , وكأنه يحاكي بسيمياء النور (الإبصار) باللون الأبيض , و بسيمياء الظلام (العمى) باللون الأسود .

وهناك جوانب أخرى أبدع فيها الشاعر بحكم تميزه بالدقة في الوصف , وعلاقة بالمرأة , وعلاقته بالطبيعة , فمثلها تحتاج إلى دراسات نقدية حديثة كالنقد ثقافي, ودراسات بنيوية , وغيرها من المناهج الأدبية الحديثة التي تتوافق مع أدب التراث الذي نعتز به .

---

[١] - ربابعة , موسى , (جمالية اللون في شعر زهير بن أبي سلمى) , ضمن كتاب (قطوف دانية) مهداة الى ناصر الدين الأسد , تحرير الرباعي عبد القادر , ص ١٣٥٥ .

المصادر والمراجع :

١- أنيس , إبراهيم , الأصوات اللغوية . مكتبة نهضة مصر . القاهرة . ط ٤ , ١٩٥٠م .

٢- بشار . الديوان , جمعه وشرحه وكمله وعلق عليه الشيخ (محمد الطاهر ابن عاشور) دار النشر الشركة التونسية للتوزيع , تونس , عام ١٩٧٦م.

٣- بنكراد , سعيد , السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها, دار الحوار, اللاذقية سوريا , ط٢ , ٢٠٠٥م .

٤- ربابعة , موسى , آليات التأويل السيميائي , ط١ , آفاق للنشر والتوزيع , الكويت عام ٢٠١١م .

٥- سعيد علوش ,معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة , لبنان – بيروت : دار الكتاب اللبناني , ط ١.

٦- السقطي , رسمية , أثر كف البصر على الصورة عند المعري , مطبعة أسعد , بغداد , عام ١٩٦٨م .

٧- طالو , محي الدين , الرسم واللون , مكتبة القدس , دمشق , ١٩٦١ م .

٨- الفيفي , عبدالله , الصورة البصرية في شعر العميان , النادي الأدبي بالرياض , ط١ , ١٤٧١هـ .

٩- ابن منظور , محمد بن مكرم , لسان العرب , اعداد يوسف خياط ط دار لسان العرب , بيروت .

١٠- ميجان الرويلي و سعد البازعي , دليل الناقد الأدبي , المغرب – الدار البيضاء , المركز الثقافي العربي , ط ٤عام , ٢٠٠٥م .

١١- يوسف وغليسي , إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد , الجزائر , الدار العربية للعلوم ناشرون ,ط ١ , عام ٢٠٠٨م.

الدوريات :

١- خليفة , " الألوان في معجم العربية " , مجلة مجمع اللغة العربية الأردني , السنة ١١ تموز , - كانون أول لعام ١٩٨٧ / عدد٤٤.

٢- معجب الزهراني , في المقاربات السيميائية – علامات في النقد , مج ١ , ع ٢ , ديسمبر ١٩٩١م .